

ولا بأسانيدها ككتاب مسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محيي الدين بن عربي على ان فيها ذكر المجهولين والضعفاء ورواة المناكير كسعيد بن عثمان الكريزي قال الذهبي كان يحدث في اصبهان بالمناكير وحفص بن الصباح الرقي قال الحاكم حدث بغير حديث لم يتابع عليه ويحيى الباطني ضعفوه وضعفوا شيخه ابا بكر بن مسلم الحمصي وغيرهم . وحسبنا ما في كتاب الله تعالى والاحاديث والآثار الصحيحة في آياته وفضائله عليه افضل الصلاة والسلام فلا حاجة لنا بامثال هذه الروايات هذا وقد طال بنا القول وسنجيب عن بقية المسائل في الجزء الآتي ولم ننس الاسئلة الواردة من تونس ومنغافورة ولكل شيء اجل

باب في تعليم اللغات

نكتفي في هذا الباب من هذا الجزء باقتباس المقالة الآتية من مجلة « المقتبس » تنويها بحسن اختيارها للمفيد وايداننا بما للفربيين من الرقي في فن التعليم ، قالت

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشاركة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . واطالما رأينا من يترجم أشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي واذا رمسه الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه أن يلفظ كلمات يهتدي بها لوجه طريقه . ذلك لأن الطريقة في تعلمه تلك اللغة الاجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين النهج الذي يهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميتة من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وفرنسية وإيطالية وغيرها . اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اتقان اللغات ويسهل على المعلم أن يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن أن يوافق بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغفه الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف

والاعراب والترجمة على حين قد ثبت ان الدارس قد يستظهر قواعد لغة وقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسم المذاهب في تعلم لغة أن يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الخال أن تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغة معرفة عملية لا نظرية ولا تنفيذ الترجمة والنقل الا اذا توفرت للطالب باديء بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام أن يتكلم لغة ويكتب فيها أن يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملاً . فتسندعي الأفكار والانفعالات للحال ما يحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنها فتصير اللغة التي يتعلمها لغة ثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو اليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورة الى التعبير عنها . وقبلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغة التي يتعلمها ويقتضي له أن يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الاصلية الا بامّ تود أن تعلم طفلها وهو الكسب تمام قواعد الفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من أن تمنى بتعليمه أن يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتى تعلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد في كل قوم ومعظمه دائر في الغرب مند ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما أن يقيم المتعلم زمناً في بلد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهراي أهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برلينز الاميركاني طريقة سهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوروبا فاسفرت عن نجاح أكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي ولفظ آخر نظر في المحسوسات لا المجردات اذ اللفظة عبارة عن أصوات محكمة لا عن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يمد في طريقته الى الترجمة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب مصححاً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لإكمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس

في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً علمياً فتبحث عن علل يأتى الاستغناء عنها بادية بدء وقلما تنفع في تلقين اللغة شأن مصور لا يحتاج الى اتقان العلوم الطبيعية والكيمائية ليصنع صوراً شمسية بديعة . ما اللغة في الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقضى في تعلمها أن يسبر الانسان من نفس الحياة لا ان يعمد الى اشكال من التعبير لا تمس ولا تتحرك وقلما تتلامم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاؤم فالبداءة بالترجمة الحرفية من لغة الى لغة يراد تعلمها اضاءة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل . ومن العسر المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لا يضع احدهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع أن يحكم وضع لغتين بمضمونها على بعض واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل ما يقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم . وذلك بتربية الاذن والحواس الصوتية . فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الاولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة . فيكون للتلميذ بهذه الطريقة في تأليف الجملة ما يارزمه من اوليات القواعد والروابط . والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولاً ثم بالنظر . فيتعلم المتعلم ما تمس حاجته اليه الى أن يكتب بدون غلط ويتملم التلميذ أولاً معاني الكلمات الغريبة ثم يلقن التمرينات الجديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية . ومن اللازم اللابزب الاعتياد على الصور قبل القواعد . ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير العبارات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها .

واللفظ في هذه الطريقة المقام الاعلى . ولم يكن يعنى بتقويته من قبل . والابانة الذين يحسنون التلفظ بلسنة ما هم ممن تعلموها على الأسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو اتقنوها بمقامهم في البلاد التي تكلم فيها تلك اللغة . وجودة

التلفظ هو روح اللغة على التحقيق . ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجت اللهجة الأعجمية فيه عياناً . ومن الهجنة أن التلفظ لا يكاد يصلح إذا فسد لأول أمره * وصعب على الانسان ما لم يموده *

فالطريقة المشار إليها مغيرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب .
وقلما يجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية ولكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة معها أتقت أن تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها الالفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنى ومعنى . كتب أحد الغرباء الى فيليون العالم الفرنسي المشهور « أن لي منك يا مولاي امعاء والد » يريد أن يقول « قلب والد » وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال : « أتود أن تتعب معي نحو النافذة » يعني بذلك أن تقرب نحو النافذة .

ولو تعلم ذلك الكاتب وهذا الملك ان يتكلموا الا فرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذا لنجيا من هذا الغلط الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمروا على تكلمها زمنا فيحسنونها ولا احسان من تعلموها على دكات المدارس وهم يقبلون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وصرفها وبيانها ناقلين ناسخين مستظهِرين ناسين . وطريقة برليتز هذه ان يستعمل اولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصور في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تعلم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم أسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريس عام ١٨٨٩ فاست في هذه العاصمة اول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض . وما برحت مدارسها تتكاثر في الاصقاع الاوربية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٢ مدرسة في أوروبا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل

تلميذ استاذ الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه ما يقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلغتها ولا يزال يكررها المتعلم حتى يتقن اللفظ فاذا نفذت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الحجم وافعال الحركات والأعداد . فاذا أُنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف اكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالباً في الاحاديث العامة ويمكن في ستين درساً من بيان فكره أصح بيان في كل ماله علاقة بمجرى الحياة الاجتماعية العادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلون لغة المتعلم .

ومما بضحك ما وقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسيين وكان يدرس الالمانية على طريقة برلينز قيل انه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم وأخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طورا فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم . وأبى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلغته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الفيظ وأنشأ يقاب كتاب نحوه يهتس عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا أمره الى والده فقال له :

أي بني لقد أحسن الاستاذ أن أبي عليك شرح ما ير بد تلميك بانفتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك وأصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فاني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عر بنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والحصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لا بد في الاولى من المران على التكلم بها من أول وهلة وانه ما من لغة مها ترأى من صعوبتها على المتعلمين باديء بدء سواء كانت اللغة الروسية أو الهندية أو العربية أو الصينية الا ويتيسر اتقانها على طريقة برلينز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم